

الخصوص باعتبارها السينما الوحيدة التي كان لها كيان وقدم راسخ كصناعة في المنطقة العربية والافريقية بعد ظهور هذا الفن بقليل حيث عاشت أحداث تلك المرحلة بكاملها بينما كانت دول عربية أخرى ما زالت تتعثر بها صناعة السينما أو غير موجودة على الإطلاق قد تكون السينما قد أصبح لها فيها شأن اليوم) - ومن هنا ظلت القضية مفقودة الرؤيا على الشاشة العربية حتى قفزت بكل ثقلها أخيرا كتعبير حقيقي عن الفهم والربط بين قضايا نضال الشعب العربي على المستوى المحلي في علاقته العضوية ككل لا يتجزأ ببقاء اسرائيل . بل خطت السينما العربية خطوة أبعد من مجرد الدعاية الفجة الى سينما متقدمة تفوز بجوائز . وكان فيلم المخدوعون - قصة الكاتب الفلسطيني الشهير (غسان كنفاني) . المنتج من سوريا والمخرج مصري وهو (توفيق صالح) - عن قضية فلسطين والحائز على جائزة لجنة تحكيم مهرجان قرطاج الاولى لخير مثل على هذه السينما المتقدمة . وتلك القيمة العضوية التي تضاعفت فيها جهود فلسطينيين وسوريين ومصريين في اظهارها . وهو ابلغ مثل للنظرة الشاملة المتضامنة التي حدثت عقب يونيو ١٩٦٧ والتي كانت يجب أن تكون منذ زمن طويل .

كذلك شتان بين الامس . (سعد الدين توفيق) ناقد سينمائي كتب كتابا كاملا عن تاريخ السينما في مصر وليس فيه ذكر لقضية فلسطين على الشاشة . واليوم ناقد سينمائي مثل (سمير فريد) لمع اسمه من خلال تمزق و نار النكسة ليسخر نفسه ومقالاته الناقدة من اجل نضال شعب فلسطين على الشاشة العربية والدعوة له . والفرق بين الاثنين لم يأت من مجرد وجود فهم ملموس من السينمائيين لقضية فلسطين اليوم بحيث ظهر المخرج السينمائي الذي يضع هذه القضية في عمل روائي سينمائي أو تسجيلي بحيث يأتي دور الناقد السينمائي بالحثية انما الفرق في المحل الاول انه قد ظهر الناقد الجاد ذو الرؤيا الشمولية التي جعلته يشعر بأن عليه دورا نحو هذه القضية حتى لو لم يوجد الفيلم الذي يتناوله بالنقد . هذا الدور الذي حدا بناقدا (كسمير فريد) ان يدعو دائما للقضية مؤكدا دور الناقد الملتزم سياسيا ومؤكدا النظرية التي تقول ان النقد الجيد والشريف يمكن ان يخلق الفن الجيد المتقدم . وربما تكون ايضا تلك هي الحقيقة التي واجهتها وأنا اكتب هذا البحث . ان حقيقة الرؤيا الشاملة التي ترى لها دورا ملتزما سواء من السينمائيين أو القائمين على نقدها . تلك الرؤيا التي كانت مفقودة على المستوى السياسي وعلى المستوى الفني قبل النكسة ثم انبلاجها بعدها . هذا الدور يعني عدم تجزئة النضال لان الخطر في النهاية واحد . والنضال يعني الاستقلال وهو بنفس الدرجة القضاء على اسرائيل التي هي ايضا معادل للاستقلال او هو الحد الأدنى لبداية مستقبل خارج دائرة التخلف والفقر لان الحرية هي الحرية الاقتصادية وأدمية الانسان . وهكذا فاننا يمكننا ان نقسم « فلسطين » من خلال السينما المصرية والعربية (١) الى عدة مراحل تتلخص في أربع فترات اولها قبل هزيمة الجيوش العربية حتى اعلان اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم من اعلان اسرائيل حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم ١٩٥٢ حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ ثم مرحلة ما بعد نكسة ١٩٦٧ .

١ - قبل هزيمة الجيوش العربية و اعلان اسرائيل

في هذه الفترة وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ لم يكن لفلسطين اي ذكر على الشاشة العربية أو على الخصوص (السينما المصرية) وقد يبدو هذا القول غامضا بعض الشيء باعتبار ان القضية الفلسطينية لم تتفجر حقيقة الا بعد ظهور اسرائيل ثم تشرذ الشعب الفلسطيني . . . أو بمعنى أوضح انه بعد هزيمة الجيش المصري وعودته منتكسا